التأمُّل

في حقيقة التوسُّل

أو البُرُوق

بأنَّ نفي التوسُّل فُسُوق

وإثباته لذاتِهِ دُون اللّه مُرُوق

تأليف

خادم العلم الشريف

د. عيسى بن عبد الله بن محمد بن مانع الحميري

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة

(١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)

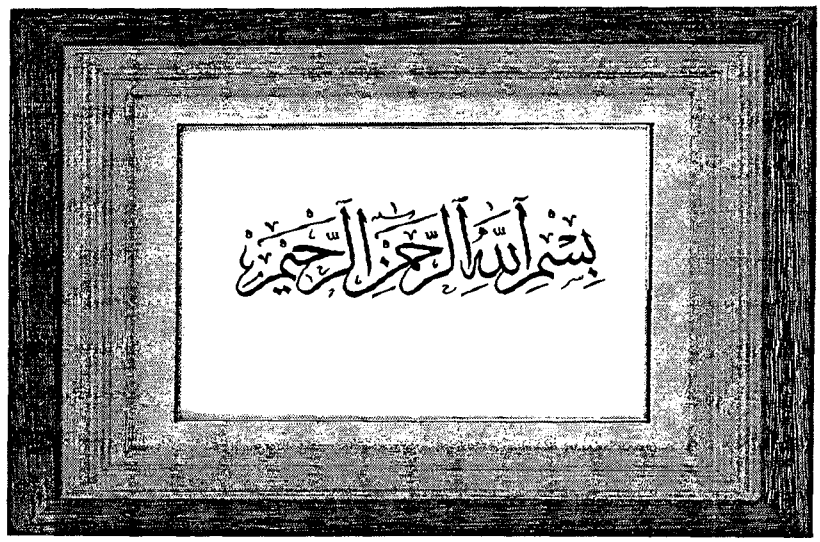
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ الحبيب العلامة سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري

مدير رباط تريم الديني - حضرموت - اليمن

الحمد لله رفع بالعلم أناساً وأذل بالجهل آخرين، أحمده على نعمه التي شملت العالمين، وأسأله تبارك وتعالى أن يوفقنا لاتباع سيد المرسلين والسلف الصالحين، سلوكاً وعملاً وعقيدةً في كل وقت وحين، وأن يحفظنا من عقائد المضلِّلين ويسلك بنا سبيل الهداة المهتدين، وأُصلي وأُسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين، وهو القائل: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد طلب مني الشيخ الفاضل العلامة الدكتور عيسي بن عبدالله بن محمد بن مانع الحميري حفظه الله تعالى، مؤلف كتاب «التأمل» المذكور أن أكتب تقريظاً على ذلك الكتاب حسن ظن منه، وإنني وإن كنت لست أهلاً لذلك ولكن نزولاً على حسن ظنه وتلبية لطلبه ورغبته بادرت إلى ذلك بعد مطالعتي وقراءتي للبعض من ذلك الكتاب واستدلالي بجزئه على كُلِّه، فأقول: لقد وجدت ذلك الكتاب مفيداً في بابه وموضوعه، غزيراً في ما تضمنه من علم وأدلة، فإنه ناقش موضوع التوسل من أكثر جوانبه وأجاب عن أكثر الشبهات بأجوبة وردود تقنع المعترض إذا أنصف، وتلقمه حجراً إذا

لم ينصف، وقد دبّجه بعبارات جميلة فيها من البيان والبلاغة ما يجعلها تدخل إلى الجَنَان والآذان من غير استئذان، ولا شك أن موضوع الكتاب وهو التوسل موضوع مهم في الدِّين افترق الناس بسببه إلى فرق شتى، وأصبح بعضهم بسببه يكفر أو يفسق أو يخطئ بعضاً، لذلك اهتم العلماء قديماً وحديثاً بتأليف الكتب الكثيرة عنه، فجاء هذا الكتاب والحمد لله فجمع في موضوعه بين القديم والحديث، وأبان فيه الحق للمنصفين والحائرين، فجزى الله مؤلفه خير الجزاء.

وأسال الله أن ينفع به الأمة، وأن يكون سبباً لرجوع الكثير ممن اعتنق أفكار مُضِلَّة، وأن يبقى مؤلفه ذخراً للأمة مع العافية والنصر والتأييد والحفظ من كل مدلهمة، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ولا يجعله مشتبهاً علينا فنتبع الهوى، وأن يوحد كلمة المسلمين على الحق والهدى إن شاء الله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى الله /

السيد سالم بن عبد الله بن عمر الشاطري

مدير رباط تريم - حضرموت - اليمن

٢٣ / ٤ / ١٤٢٤هـ

٢٣ / ٦ / ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي حفظ الحامدين من الزيغ والضلال، وأشهد أن لا إله إلا الله،مرام الوسيلة الحق ومطلبها، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله حقيقة الدين الخالص، والسبب الموصول الموصل إلى حقائق الإيمان ومقامات الإحسان بتوحيد الديان، أرسله الله رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، وجعله الواسطة العظمى في كل ما يصل منه إلى خلقه من نعيم الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد واسطة عقد الوجود، والوسيلة العظمى في وصول الخير إلى كل موجود، وأقرب رسل الله إلى الله وسيلة، من لا مطمع لأحد في نيل رتبته وإدراك أوصافه الجليلة، وفيصل الحق المعرِّف على الوسيلة والعبادة الحقة بمنطوق قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[1]، وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[2]، وعلى آله الأطهار مجلى الرسالة، ورضي الله تبارك وتعالى عن أصحابه البررة الكرام، والأجلّة الأعلام وسائل الفضيلة وأئمة الاقتداء لنيل الرتب الجليلة، المعرّفين على معاني القول المبين، المتلخص في أن كل عبادة وسيلة، وليس كل وسيلة عبادة.

---

(١) من سورة المائدة الآية(٣٥).

(٢) من سورة الإسراء الآية (٥٧).

ورضي الله عن أتباعه الذين أقاموا منار ملّته، ونصبوا أعلام محبته، وأقروا بالعجز عن بلوغ كنه حقيقته، فاستوجبوا من جميل الذكر درجات عالية، وأجوراً متتالية، أما بعد:

فإن مما دعاني إلى الكتابة في هذا الموضوع، ما رأيته من تخبط بعض الناس في فهم حقيقة التوسل، والقول بمنعه وتبديع من يفعله، واتهامه عند بعضهم بالشرك والتضليل، ونظراً لخطورة هذه القضية وتخبطهم فيها، رأيت من الواجب عليّ أن أبيّن وجه الحق في هذا الموضوع، وأن أرد الأمور إلى نصابها، وأكشف النقاب عن أسباب الارتياب في هذا الباب، فاستخرت الله تعالى لهذا الغرض، فمنّ علي برؤيا مباركة في المدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ فهمت من تعبيرها الإذن بالشروع في تحبير هذا المؤلَّف، الذي تحريت فيه الدقة والتحقيق والإنصاف، بعيداً عن التعصب والتعسف والهوى، مستنيراً بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، ومنهج سلفنا الصالح الذين هم أئمة العلم والهدى والتُّقى، وسميته «**التأمل في حقيقة التوسل**».

وبعد طباعة هذا السِّفر الطبعة الأولى سألني أحد السَّادة الفضلاء من أهل العلم: ما الكتاب الذي ألفته أخيراً؟ فأخبرته بهذا الكتاب. فقلت له لماذا تسأل؟ فقال: إنَّه رأى المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في الفردوس الأعلى رأى بين يديه كتاباً يتصفَّحه، فسلَّم على جَدِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسأله: ما هذا الكتاب الذي بين يديك؟ فقال فرحاً: هذا كتاب ألَّفَهُ الشيخ عيسى بن عبد الله بن مانع الحميري أو بما معناه.

فالحمد لله تعالى على هذه الرؤيا المبشرة، ونسأل الله تعالى أن يتقبَّل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم.

خطة الكتاب

وقد جعلته على النحو الآتي:

الباب الأول

حقيقة التوسل

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: في تعريف التوسل لغة واصطلاحاً.

الفصل الثاني: مفهوم التوسل.

الفصل الثالث: أنواع التوسل.

الفصل الرابع: حكم التوسل وارتباطه بالعقيدة .

الفصل الخامس: الدليل العقلي على إثبات التوسل.

الباب الثاني

مشروعية التوسل

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأدلة النقلية من القرآن الكريم.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: السبب والمسبب.

المبحث الثاني: سرد الأدلة النقلية من القرآن الكريم.

الفصل الثاني: في ذكر الأدلة النقلية من الحديث والأثر.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التوسل بالنبي ﷺ قبل ولادته.

المبحث الثاني: التوسل بالنبي ﷺ في حياته.

المبحث الثالث: التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في بيان حياة الأنبياء عليهم السلام في قبورهم.

المطلب الثاني: في ذكر أدلة التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله.

المطلب الثالث: الاستغاثة والتوسل بقبر النبي ﷺ.

المبحث الرابع: التوسل بالأنبياء والصالحين.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوسل بذوات الأنبياء والصالحين.

المطلب الثاني: التوسل بأرواح وآثار الأنبياء والصالحين.

المطلب الثالث: التوسل ببركة الأماكن والبقاع.

الفصل الثالث: العلماء وموقفهم من التوسل.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف السلف والخلف من التوسل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف الأئمة: مالك والشافعي وأحمد وغيرهم من التوسل.

المطلب الثاني: موقف جماعة من الأئمة: من المحدثين والفقهاء والأصوليين.

المبحث الثاني: شبهات وردود.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آيات استدل بها المعارضون على نفي التوسل.

المطلب الثاني: رد على كتاب: «الواسطة بين الحق والخلق».

المبحث الثالث: من توسلات الصحابة رضي الله عنهم من خلال كتاب فتوح الشام للواقدي.

الباب الأول

حقيقة التوسل

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: في تعريف التوسل لغة واصطلاحاً.

الفصل الثاني: مفهوم التوسل.

الفصل الثالث: أنواع التوسل.

الفصل الرابع: حكم التوسل وارتباط العقيدة به.

الفصل الخامس: الدليل العقلي على إثبات التوسل.

الفصل الأول

تعريف التوسل لغة واصطلاحاً

التوسل لغة: التقرب، يقال: توسل إليه بوسيلة، إذا تقرب إليه بعمل، وتوسل إليه بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرةٍ تعطفه عليه.

قال الجوهري: الوسيلة مايتقرب به إلى الغير.

وقال ابن الأثير: هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به.

والوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل مقصود، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾[1].

ووسّل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسّل إليه بوسيلة، أي تقرب إليه بعمل، والواسل: الراغب إلى الله[2].

وقال الراغب الأصفهاني: الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة، وهي أخص من الوصيلة، لتضمنها لمعنى الرغبة، قال تعالى: ﴿ **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾[3].

وقال ابن سيده في «المخصص»: «قال صاحب العين: الوسيلة ما تقربتَ به، وقد توسلت به إليه، ومنه توسلَ إلى الله تعالى بعمل:

---

(١) من سورة المائدة الآية (٣٥).

(٢) انظر مادة «وسل» في لسان العرب (١١/ ٧٢٤)، وتاج العروس (٨/ ١٥٤)، والصحاح للجوهري (٥/ ١٨٤١)، وانظر تفسير ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن (ص٨٧١).

تقرّبَ، وقال: متتُّ بالشيء أمتُّ متّاً: توسلتُ. والمتاتُ ما متتَّ به، وقد متتُّه: طلبتُ إليه المتات»[1]. ومنه قوله:

أمُتُّ بقربى الزينبين كليهما إليك وقربى خالد وسعيد

ويقول الحكيم الترمذي: «الوسيلة والوصيلة بمعنى واحد، إلا أن الوصيلة أن يوصل الشيء بالشيء، فلما صار الأمر إلى ذكر الله عَزَّ وجلَّ أخرجوه مخرج القربة، فقيل: وسيلة، بدل بالسين صاداً».[2]

والتوسل اصطلاحاً: جعلُ الشيء الذي له عند الله قدر ومنزلة وسيلةً لإجابة الدعاء، كالتوسل بأسماء الله وصفاته، وكالتوسل بالإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والأعمال الصالحة، وذوات الأنبياء والصالحين ودعائهم، فما له قدر ومنزلة عند الله فالتوسل به جائز وحسن، ذاتاً كان أو عملاً صالحاً، والذي أستخلصه هو:

أن الوسيلة هي: طريق الوصول إلى المأمول. أو هي: قنطرة موضوعة لمعانٍ مشروعة. أو هي: ظواهر ملموسة لمعانٍ نفيسة محسوسة. أو هي: سبل مشروعة لمطالب مخصوصة.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «الوسيلة هي ما يتقرب به إلى الكبير، يقال: توسلت أي: تقربت، وتطلق على المنزلة العليّة،

---

(١) المخصص لابن سيده (٣/٢٢٤).

(٢) الرياضة وأدب النفس للحكيم الترمذي (ص٦٦).

ووقع ذلك في حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم بلفظ «فإنها منزلة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله» الحديث[1]، ونحوه للبزار عن أبي هريرة، ويمكن ردّها إلى الأول، بأن الواصل قريب من الله، فتكون كالقربة التي يتوسل بها»[2].

والتوسل في الشريعة هو: تجاهل المُتوسل لقبول أعماله المبذولة والتماس رجائها من الله سبحانه بأعمال مقبولة لذوات موصولة.

والمعنى أن المتوسل عمل أعمالاً صالحة جهل حقيقة قبولها عند الله فالتمس رجاءها من فضل الله في قبول عمل أو زاد في التواضع والانكسار لمولاه فتلمس رجاءها من أعمال مقبولة لذوات مقربة موصولة أي بالنبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين، كما فعل عمر رضي الله عنه حين توسل بالعباس لقربه من طاهر الأنفاس سيدنا رسول الله ﷺ ولشيبة العباس ومنزلته من رسول الله ﷺ مع تحقق مراد الوسيلة بتوسل بلال بن الحارث، وما ذلك إلا إظهار رغبة بصور متعددة لاستدرار رحمة محققة من الله سبحانه.

وملاك القول:

- أن الواسطة والوَسيلة بمعنى واحد أي أن بينهما خصوصاً وعموماً، فهما يتفقان في المضمون وهي القربة، ويفترقان في

---

(١) رواه مسلم (٣٨٤)، والترمذي (٥/٥٨٦)، والنسائي (٦٧٨)، وأحمد (٢/١٦٨)، وغيرهم.

(٢) فتح الباري (٢/٩٥).

النوعية، فالواسطة حقيقتها ذاتية فالقرب يتم بها عن طريق الذوات، وتكون بالحوائج الدنيوية والأخروية ويدخل بها البر والفاجر، أما الوسيلة فحقيقتها معنوية وتتم للصادقين بالصادقين.

* * *

الفصل الثاني

مفهوم التوسل

قبل الدخول في الموضوع لابد من الوقوف مع القارئ على معنى المشيئة في حق الخالق وحق المخلوق. فقد اتفق المسلمون من خلال عقائدهم، على إثبات أن للحق سبحانه مشيئة ولخلقه مشيئة، ولكن مشيئة خلقه لا تتم إلا بمشيئته عز وجل كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

قال الشيخ عبدالرحمن الجامي رحمه الله: إن المشيئة توجه الذات الإلهية نحو حقيقة الشيء ونفسه، اسماً كان الشيء أو صفة أو ذاتاً.

والإرادة ـ عند الإمام الجرجاني ـ: تعلق الذات الإلهية بتخصيص أحد الجائزين من طرفي الممكن، أعني وجوده أو عدمه، بخلاف المشيئة فإن متعلقها نفس الماهية من غير ترجح أحد جانبيها... فعلى هذا إذا توجهت الذات الإلهية نحو صفة الإرادة واقتضت تعلقها بأحد طرفي الممكن كما هو مقتضاها، لا يبعد أن يسمى ذلك التوجه مشيئة الإرادة، فهذا الذي ذكرناه من التقدم الذاتي للمشيئة على الإرادة، وإمكان الاختلاف في متعلق الإرادة دون

---

(١) من سورة التكوير: الآية (٢٩)

المشيئة هو الفرق بينهما، وأما من جهة اتحادها بالنسبة إلى الهوية الغيبية الذاتية فعينهما سواء .اهـ[1].

وبناء على ما قرره الإمامان الجامي والجرجاني فإن المشيئة أعم والإرادة أخص، فمشيئة المخلوق إرادة، وإرادة الحق مشيئة.

ويزيد الأمر وضوحاً العلامة المحدِّث عبدالله بن أبي جمرة في سِفره القيم «بهجة النفوس» (١ / ٣٤) فيقول: «....وأما التنزيل فقوله عز وجل: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾[3]، فأثبت عز وجل الفعل للعبد وأثبت الفعل لنفسه معاً، فأما ما هو من فعل العبد فهو أن النبي ﷺ أخذ غرفة من تراب بيده ثم رماها، وهذا حقيقة فعل من البشر مرئي محسوس.

وأما ما هو من فعل الرب سبحانه فهو أن تلك الغرفة ليس للبشر قوة على إيصالها إلى جميع أعين الأعداء، وقد وصلت لجميع أعينهم حتى أوقعت الهزيمة فيهم. هذا ما هو من طريق النقل والمشاهدة، وأما من طريق العقل والنظر فما يجد الإنسان في نفسه

---

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون (٢ / ٧٣٠-٧٣١)، والتعريفات (٢١٦)، وكتاب المسامرة (١٤٢).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٦٣ - ٦٤.